سرى الدفء في اصابع علي الذياب ، وذراعيه · وبدأ ابو سراج وابـــو اروى يستعدان للنوم· واخذ علي الذياب يربت على ظهر الارنب، ويمسح باطن كفهبفروته البيضاء الناصعة· وعاد المتطوع يحدث نفسه، عالمهؤلاء الرجالمفعم برائحةالانسان، اعماقهمغنيةبالطيبةوالتجربة·وقال لنفسه ايضا:ما زلتعلى هامش التجربة ، وعندما امتلك تجربة كبيرة يمكنني ان امتطي صهوة الجبال التـــي يكسوها الثلج ، واحلم مثلما يحلم الرجل البرى الذى تقدر قوتـــه بثمانيـــن حصانا · وتذكر السائق الذي نقله من الادارة العسكرية في النبطية الى الموقع · وقال ايضا : لو قابلته فسوف يقول : كل شيء في البداية يبدو غير مألوف ، ولكن بمرور الايام سوف تفقـــد الاحساس بالدهشة ·· اليس كذلك ايهـــا المتطوع · سيصبح المتطوع هو اسمي الحركي ، ربما لن يسال احد عن اسمـــي الحقيقي . وربما لن يعرف اسم قريتي . ولكنني لو جرحت في معركة فســوف يستشهد ثلاثة منهم من اجل انقاذي ··

كان ابو سراج يغط في نوم عميق · وابو اروى ينام صامتا · يتنفســـ بهدوء ·· ربما يحلم باطفاله الثلاثة في مخيم اليرموك ، فتولد على وجهـــه دفقة من الفرح · وظل خرير الماء في الخارج يجعل لهذا الصمت مهابة · اغلق يوسف جهاز اللاسلكي · وبدأ يستعد للنوم ·

★ ★ ★

كان الصباح مشمسا · ذابت طبقة الثلوج ، وصارت المياه تشح وتشح ثم نضبت · دبت الحياة بالارنب الابيض ، وتنقل في اطراف الخيمة · تكونت على وجه المتطوع دفقة من الفرح ، فحمل الارنب الذي كانت انفاسه تخرج ساخنة · حمله بين ذراعيه . وايقظ الرفاق ، فتحلقوا حوله يحدقون بالارنب ويداعبونه · ثم انصرفوا يعدون وجبة الافطار · وعاد جهاز اللاسلكي الى العمل · وملأت العصافير الجو · ولم يأبه احد لطائرات الاستطلاع التي تحلق عاليا · وظـــل الارنب صامتا بين يدي المتطوع ، يحدق بعينين بنفسجيتين دون ان يرتجف ·

★ ★ ★

عصر اليوم التالي عاد سعيد · مرة اخرى اقبل بفروته ، ولحيته الكثـــة وعصاه . وكان يلبس على رأسه طاقية صوفية · اقبل يبتسم ، ويحمل بين يديه علبة حلوى اعطاها ليوسف وقال : لك وللاخوان ·

ـ كانت زيارة ناجحة · قال علي الذياب ·

فضحك سعيد ابو جابر ، وقال بعفوية ودفعة واحدة : ـ في المرة القادمـــة